ريحانة الألبا

وزهرة الحياة الدنيا

لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي

٩٧٧ — ١٠٦٩ هـ

تحقيق

عبد الفتاح محمد الحلو

الجزء الأول

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه

الطبعة الأولى
(١٣٨٦هـ — ١٩٦٧ م)
جميع الحقوق محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

١

في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري ، كانت مصر قد بدأت تنفض عن كاهلها غبار المعارك الطاحنة ، التي دارت بين المماليك ، الذين كان إليهم حكم مصر ، وبين جيوش الدولة العثمانية ، التي قضت على ملك الشاه إسماعيل الصوفي بالعراقين ، سنة إحدى وعشرين وتسعمائة ، بقيادة السلطان سليم بن بايزيد ، وقهرت الملك الأشرف قانصوه الغوري ، في مرج دابق ، سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة .

أجل ، كانت مصر تنفض هذا الغبار الذي ثار بين السلطان سليم ، وبين طومان باي ، في الريدانية وبولاق ، وفي الشوارع حول القاهرة ومداخلها ، والذي كان حصاده فوق عشرة آلاف إنسان من القتلى ، على مدى أربعة أيام ، ولولا لطف الله تعالى لفنى أهل مصر قاطبة بالسيف ، كما يقول ابن إياس[1] .

وكانت مصر في ذلك الوقت تتلمس طريقها في هذه الظلمات ، بعد أن هجرها أساطين علمائها ، وأهل البصر والخبرة بفنونها وصنائعها .

ويذكر ابن إياس أنه قد توجه إلى اسطنبول خلق كثير من العلماء والأشراف والتجار ، وجماعة من السيوفية والصياقلة والسباكين والحدادين[2] .

---

(١) انظر تاريخ مصر ٣/١٠١ - ١٠٤ . (٢) المصدر السابق ٣/١٤٧ ، ١٤٨ .

ويذكر أيضا فى عداد المتوجهين إلى اسطنبول جماعة من البنائين والنجارين والحدادين والمرخمين والمبلطين والخراطين والمهندسين والحجارين والفعلاء .

ويقول عقب ذلك : « ولم تقاس أهل مصر من قديم الزمان أعظم من هذه الشدة ، ولا سمع بمثلها فى التواريخ القديمة ، وكان ذلك فى الكتاب مسطورا ، ففارقت الناس أوطانهم وأولادهم وأهاليهم ، وتغربوا من بلادهم إلى بلد لم يطئوها من قبل ، وخالطوا أقواما غير جنسهم[1] » .

وهكذا أصبح لزاما على الثلة الباقية بمصر أن تجاهد فى سبيل إعادة وجه الحياة النضر إليها ، وأن تعمل فى جد لا يعرف الكلال ، وعزم لا يدركه لوهن ، لتحفظ للقاهرة مكانتها الحضارية ، منارا يشع منه نور العروبة والإسلام .

٢

وفى هذه الأثناء كانت ولادة شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجىّ المصرىّ[2] سنة سبع وسبعين وتسعمائة ، لأب من خيرة علماء عصره ، هو محمد بن عمر الخفاجى الشافعى ، المتوفى سنة إحدى عشرة بعد الألف[3] .

وقد ذكر الشهاب فى مقدمة الريحانة انتساب أسرته إلى بنى خفاجة[4] ، فقال[5] : « هذا ، وإنى كنت قبل أن تشيب منى الخطوب الذوائب . . . . . أعد

---

(١) المصدر السابق ٣/١٤٨ .

(٢) ترجمته فى خلاصة الأثر ١ / ٣٣١ ـ ٣٤٣ ، ديوان الإسلام لوحة ٣٥ ب ، سلافة العصر ٤٢٠ ـ ٤٢٧ ، صفوة من انتشر ١٢٨ ، نفحة الريحانة لوحة ٢٩٦ ا ـ ٣٠٧ ب .
وقد ترجم لنفسه فى آخر الريحانة ، فى فصل عقده لهذا الغرض .
وانظر بروكلمان ٢/٢٨٥ (٣٦٨) ، ملحق ٢/٣٩٦ .

(٣) خلاصة الأثر ٤/٧٦ ، ٧٧ .

(٤) انظر اللباب ١/٣٨١ ، واستدراك ابن الأثير على ابن السمعانى .

(٥) صفحة ٤ ، وقد جرى ابن معصوم ، فى سلافة العصر ٤٢٠ على هذا ، وانظر معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، لعمر رضا كحالة ١/٣٥٠ ـ ٣٥٢ .

الأدب عنوان صحائف الشمائل . . . . . وأرتشف من طبعى ما ينم عن سر الزجاجة ، وأشتفُّ منه ما أسأرته الجدود من ذؤابة خفاجة . . . » ، ولكن المحبي يقول فى ترجمته[1] : « والخفاجى : نسبة إلى أبيه خفاجى ، ولا أدرى ما هو » كما يذكر أن والده من سرياقوس ، قرية من قرى الخانقاه .

ونشأ الشهاب فى حجر أبيه ، يعلمه ويؤدبه ، وعليه تخرج فى كثير من الفنون ، ثم انطلق إلى رحاب أوسع :

فدرس النحو ، وعلوم العربية على خاله أبى بكر بن إسماعيل بن شهاب الدين الشَّنَوانيّ ، المتوفى سنة تسع عشرة بعد الألف[2] .

ثم درس المعانى ، والمنطق ، وبقية علوم الأدب ، ونظر كتب المذهبين : الحنفى ، والشافعى ، مؤسسا على الأصلين .

وحضر الدروس الفرعيـة لشمس الدين محمد بن أحمد بن حمزة الرملىّ ، المنوفىّ ، المصرىّ ، الأنصارىّ ، المشهور بالشافعىّ الصغـير ، مفتى الشافعية فى زمانه ، والذى يقال عنه : إنه مجدد القرن العاشر ، المتوفى سنة أربع بعد الألف[3] ، وقرأ عليه شيئا من مسلم ، وأجازه بذلك ، وبجميع مؤلفاته ومروياته ، بروايته عن شيخ الإسـلام زكريا الأنصارى ، وعن والده .

وحضر دروس نور الدين على بن يحيى الزِّيَّادِىّ[4] ، المصرىّ ، الشافعىّ ، الإمام الحجة ، رئيس العلماء بمصر ، المتوفى سنة أربع وعشرين وألف[5] ، حضر دروسه زمنا طويلا .

---

(١) خلاصة الأثر ١/٣٤٣ .
(٢) ترجمه الشهاب فى الريحانة ، رقم ٤٥ .
(٣) ترجمة فى خلاصة الأثر ٣/٣٤٢-٣٤٨ .
(٤) نسبة إلى محلة زياد ، بالبحيرة .
(٥) خلاصة الأثر ٣/١٩٥-١٩٧ .

وحضر دروس نور الدين على بن محمد بن على ، المعروف بابن غانم ، الخزرجى ، السعدى ، العُبَادى ، المقدسى الأصل ، القاهرى المولد والسكن ، الحنفى ، الرحلة ، القدوة ، رأس الحنفية فى عصره ، مجدد القرن الحادى عشر من الحنفية ـ كما أن الرملى المتقدم مجدده من الشافعية ـ المتوفى سنة أربع بعد الألف[1] . وقرأ عليه الحديث ، وكتب له إجازة بخطه[2] .

وقرأ « الشفاء » بتمامه على جمال الدين إبراهيم العلقمىّ ، المصرى ، وأجازه به ، وبغيره[3] .

وأخذ الأدب والشعر عن أحمد العلقمى[4] .

كما أخذهما عن شمس الدين محمد بن نجم الدين محمد الصالحى ، الهلالى ، الشامى ، المتوفى سنة اثنتى عشرة بعد الألف[5] .

وعن أحمد بن أحمد بن أبى العنايات العنايتىّ ، المتوفى سنة أربع عشرة بعد الألف[6] .

وأخذ العروض عن العلامة محمد المغربىّ ، المعروف بركروك[7] .

وأخذ الطب عن داود بن عمر البصير الأنطاكى ، صاحب « التذكرة » ، ورأس الأطباء فى زمانه ، المتوفى سنة ثمان بعد الألف[8] .

---

(١) خلاصة الأثر ٣/١٨٠ـ١٨٥ .
(٢) ترجمه الشهاب فى الريحانة برقم ٨٩ .
(٣) ترجمه الشهاب فى الريحانة برقم ٩٦ ، وانظر سلافة العصر ٤١٣ ، ٤١٤ .
(٤) ترجمه الشهاب فى الريحانة برقم ٩٧ .
(٥) ترجمه الشهاب فى الريحانة برقم ٢ .
(٦) ترجمه الشهاب فى الريحانة برقم ١ .
(٧) جاء فى أصول الريحانة فى ترجمته برقم ٤٩ : « دكروك » .
(٨) ترجمه الشهاب فى الريحانة برقم ١١١ .

كما أخذ عن على بن جار الله ، المتوفى عن تسعين سنة[1] ، أثناء رحلته مع والده إلى الحرمين الشريفين .

كما أخذ فى رحلته هذه عن على بن إسماعيل الإسْفَرايينى العِصامى ، الشافعى ، المتوفى بمكة ، سنة سبع بعد الألف[2] .

وأثناء رحلته إلى القسطنطينية أخذ عن محمد بن عبد الغنى بن ميرپاد شاه ؛ المعروف بغنى زاده ، نادرة الروم ؛ وقاضى العسكر ، وأشهر موالى الروم فى الذكاء والفطنة ، والنظم والنثر ، المتوفى سنة ست وثلاثين بعد الألف .

يقول المحبّى فى ترجمته : « وممن تخرج به الشهاب الخفاجى ؛ وكان لا ينفك عن مجلسه[3] » .

كما أخذ فى هذه الرحلة عن مصطفى بن محمد ، الشهير[4] بعزمى زاده[4] ، قاضى العسكر ، وأشهر متأخرى الروم ، وأغزرهم مادة فى المنطوق والمفهوم ، ومن انعقدت عليه وعلى المولى محمد بن عبد الغنى المتقدم صدارة العلماء بالروم ، المتوفى فى حدود سنة أربعين وألف[5] .

وأخذ أيضا فى هذه الرحلة عن داود الحبر ، أخذ عنه الرياضيات ، وقرأ عليه أقليدس ، وغيره .

كما أخذ عن سعد الدين محمد بن حسن جان ، التبريزى الأصل ، القسطنطينى

---

(١) ترجمه الشهاب فى الريحانة برقم ٧٣ ، وانظر خلاصة الأثر ٣/١٥٠ .
(٢) ترجمه الشهاب فى الريحانة برقم ٦٤
(٣) خلاصة الأثر ٤/٩ ـ ١١ .
(٤) ورد فى الريحانة ، فى الفصل الذى عقده المؤلف للحديث عن مشيخته : « ابن عربى » .
(٥) خلاصة الأثر ٤/٣٩٠ ـ ٣٩٢ .

المولد والمنشأ والوفاة ، مفتى الدولة ، ومعلم السلطان مراد بن سليم ، والمتوفى سنة ثمان بعد الألف[1] .

وهكذا اجتمع للشهاب الخفاجى هـذا الجم الغفير من علماء عصره ، يدرس عليهم ، ويحظى بإجازاتهم ، ويقبس من علومهم ومعارفهم ما يجعله صدرا للإفادة ، وموردا ينهل من علمه المستفدون .

٣

وقد أخذ عنه كثير من العلماء ، نذكر منهم :

أحمد بن يحيى بن عمر الحموى ، المعروف بالعسكرىّ ، الشافعىّ ، مفتى الشافعية بحماة المتوفى سنة أربع وتسعين وألف[2] .

عبد القادر بن عمر البغدادىّ ، الأديب ، المصنف ، الرحال ، الباهر ، صاحب « خزانة الأدب » ، المتوفى سنة ثلاث وتسعين وألف .

يقول المحبىّ : « وأكثر لزومه كان للخفاجى ، قرأ عليـه كثيرا من التفسير ، والحديث ، والآداب ، وأجازه بذلك ، وبمؤلفاته .

وكان الخفاجىّ ، مع جلاله وعظمته ، يراجعه فى المسائل الغريبة ؛ لمعرفته مظانها ، وسعة اطلاعه ، وطول باعه .

حكى صاحبنا الفاضل مصطفى بن فتح الله ، قال : قلت له ، لمـا رأيته من سعة حفظه واستحضاره : ما أظن هذا العصر سمح برجل مثلك !

---

(١) ترجمة الشهاب فى الريحانة برقم ١٥٢ .
(٢) خلاصة الأثر ١/٣٣٤ ، ٣٦٧ .

فقال لى : جميع ما حفظته قطرة من غدير الشهاب ، وما استفدت هذه العلوم الأدبية إلا منه .

ولما مات الشهاب تملّك أكثر كتبه ، وجمع كتبا كثيرة غيرها » [1] .

فضل الله بن محب الله بن محمد المحبىّ ، المتوفى سنة اثنتين وثمانين وألف .

يقول ولده الأمين : « ثم رحل إلى مصر فى سنة تسع وخمسين ، فى خدمة قاضيها المولى محمد بن عبد الحليم البورسوىّ ، وناب عنه فى محكمة الصالحية ، وكان ممتعا بالتفاته ، وحظى عنده كثيرا .

ثم ورد مورد الشهاب الخفاجىّ للتلقّى منه ، وكان البورسوى يبغض الشهاب ، فوجد بعض حاشيته مسلكا لذمه ، وقالوا : إنما كان اجتماعه معك ليذمك عنده ويهجوك ، فانحرف عليه بسبب ذلك ، وغض عنه طرفه ، فلم يعد بعدها إلى مجلسه » .

وأخذ عنه والد المحبىّ هذا فى منصرفه إلى مصر أيضا ، وكتب عنه آنذاك أصل الريحانة الذى سماه « خبايا الزوايا فيما فى الرجال من البقايا » [2] .

٤

وكان على الشهاب الخفاجىّ أن يتولى سياحة الآفاق ، بحثا عن عالم يتلقى منه علمه، أو شاعر يسجل عنه شعره ، أو منصب يفوز بصدارته .

وكانت رحلته الأولى مع والده إلى الحرمين الشريفين ، وقد أفادته هذه الرحلة علما تلقاه عن شيوخ مكة ، وأثارة من شعر سجلها فى الريحانة،فى القسم الذى ذكر فيه فضلاء المغرب والحجاز واليمن .

---

(١) خلاصة الأثر ٢/٤٥١ ـ ٤٥٤ .

(٢) خلاصة الأثر ٣/٢٧٧ ـ ٢٨٦ .

ثم رحل إلى الروم [1] ، وفى رحلته الأولى ولى القضاء ببلاد روم ايلى ، حتى وصل إلى أعلى مناصبها كأسكوب وغيرها .

وفى عهد السلطان مراد توصّل حتى اشتهر بالفضل الباهر ، فولاه السلطان قضاء سلانيك ، فحصّل بها ، كما يقول المحبّ ، مالا كثيرا .

ثم أعطى بعدها قضاء مصر .

وبعد ماعزل عنها رحل إلى الروم رحلته الثانية .

ومر فى طريقه على دمشق ، وأقام بها أياما ، ومدحه فضلاؤها بالقصائد ، واعتنى به أهلها وعلماؤها ، فأكرموا نُزُلَه .

وقد ذكر طرفا من هذا فى القسم الذى عقده لأهل الشام ، فى « الريحانة » .

وفى دمشق ، وقع له ، كما يقول المحبى ، لطائف :

من ذلك أنه دعاه العمادىّ المفتى إلى قصرهم بالصالحية ، فمرّ الشهاب وصحبته العمادى وابن شاهين على الجسر الأبيض ، فنظر إلى غلام واقف هناك ، نظرة ميل ، ووقف يتأمله ، فانتقد العمادى وابن شاهين ذلك عليه .

فأنشد بديهة قوله :

قيـــل لا تنظرَنْ لوجه مليحٍ ... إن هـــذا مبـدِّدُ الحسناتِ

قلتُ هـــذا الجمالُ لما تبدَّى ... أشْغل الـكاتبيْنِ عن سيِّئاتى

وفى طريقه إلى الروم دخل حلب ، ثم وصل منها إلى الروم ، وكان إذ ذاك مفتيها المولى يحيى بن زكريا [2] فأعرض عنه .

---

(١) انظر خلاصة الأثر ١/٣٣٣ ، وما بعدها .

(٢) يحيى بن زكريا بن بيرام ، شيخ الإسلام ، وأوحد علماء الروم باتفاق الأنام ، توفى سنة ثلاث وخمسين وألف . خلاصة الأثر ٤/٤٦٧ ـ ٤٧٢ .

ويذكر المحبي أن من أسباب هـذا الإعراض ، ماسمعه المولى يحيى بن زكريا من أمور انتقـدت على الشهاب الخفاجيّ أيام قضائه فى سلانيك ومصر ، من الجرأة وبعض الطمع .

ويرى المحبيّ أن هذا كان السبب فى إنشائه المقامة ، التى ذكرها الشهاب فى الريحانة ، وتعرض فيها للمولى المذكور ، وكان هذا سببا لنفيه إلى مصر .

بينما يعقد الشهاب الخفاجيّ فصلا كاملا فى « الريحانة » لبيان أحوال الروم ، وانقراض علمائها ، ونشر الظلم والعدوان بين أمرائها ، يذكره بعد أن يستوفى الأقسام الأربعة التى قسم إليها كتابه .

ويذكر الشهاب فى الفصل الذى عقده بعد هذا لبيان حاله فى خبر المبتدأ ، أنه بعد انقراض أستاذه سعد الملة والدين ابن حسن ، قام مقامه صنع الله ، ثم ولداه، ثم انقرضوا فى مدة يسيرة ، فلم يبق بها عين ولا أثر ، وصار الدين ملعبة وسخرية ، وآل الأمر إلى اجتراء السلاطين والوزراء بقتل العلماء وإهانتهم .

ثم يقول : « ولما عدت إليها ثانيا بعد ما توليت قضاء العساكر بمصر ، رأيت تفاقم الأمر ، وغلبة الجهل ، فذكرت ذلك للوزير ظنا بأن النصح يفيد ، فإذا هو كما قيل :

هو الوزير ولا أزرٌ يُشَـــدُّ به مثل العروضِ له بحر بلا ماء

فـكان ذلك سببا لعزلى ، وأمرى بالخروج من تلك المدينة ، وإظهار العداوة ممّن هو فى زى العلماء ، مع أنه لم يبق بها أحد يحسن قراءة الفاتحة » .

وبهذا يفسر الشهاب سبب عزله ، فقد كان ذلك كما يقول ، لأنه انتقد ماصارت إليه حاضرة الخلافة من ظلم وجور ، وفساد اجتماعى ، وجهل سائد ، فلم يقبل الوزير نصحه ، وأنف من إرشاده ، وجزاه على الخير شرا ، فطرده من الروم ، وأظهر العلماء العداوة له ، وواضح أنه يعنى بهذا المولى يحيى بن زكريا المتقدم .

ولقد ملأ هـذا الموقف قلب الشهاب غضبا ، وأثار فيه نوازع وأشجانا ، سجلها في أثناء كتابه « الريحانة » ، وفى الفصل الذى عقـده لبيان أحوال الروم ، وفى المقامة الرومية ، وفى الرسالة التى كتبها بعد عوده من الروم ، إلى أحـد رؤسائها يدهش لهذا التصرف ، ويصف فساد الأمور فى الدولة العثمانية .

ولعل هذه أول صيحة تعلن عن هـذا الفساد ، وتصل فى قوتها وضراوتها إلى هذا الحد .

وبهذا ختم الشهاب تطوافه ، وعاد إلى مصر ، وأعطىَ قضاءً يتعيّش منه ، ولقدأفاده هذا الاستقرار ، وأفاد الناس ، فجلس يؤلف ويصنف ويقرى ، فانثالت عليـه وفود الطلاب ، ورغب فى مجلسه كل محب للمعرفة ، توّاق إليها .

٥

وكان حصاد هذه الفترة حصيلة طيبة من المؤلفات ، ذكر الشهاب بعضا منها فى الباب الذى عقده لبيان مؤلفاته فى « الريحانة » ، واستوفى بقيتها من ترجم له ، وهى :

١ ـ أمالى الشهاب الخفاجىّ .

ذكره البغدادىّ ، فى خزانة الأدب ١ / ١٠ ، ٤ / ١٧ ، ولعله يعنى طراز المجالس . انظره برقم ١٧ .

* * *

٢ ـ حاشية شرح الفرائض .

ذكره فى الريحانة ، وذكره الإفرانىّ ، فى صفوة من انتشر ، باسم « حاشية على فرائض الحنفية » ، وذكره ابن معصوم فى السلافة ، والمحبى فى خلاصة الأثر .

حاشية على تفسير البيضاوى = عناية القاضى وكفاية الراضى .

٣ ـ حديقة السحر .

ذكره فى الريحانة ، وأكثر من الإشارة إليه خلالها، وذكره إسماعيل باشا البغدادى، فى إيضاح المكنون ١/٣٩٧ .

٤ ـ حواشى الرضى والجامى .

ذكره فى الريحانة ، وذكره ابن معصوم فى السلافة ، والمحبى فى خلاصة الأثر .

٥ ـ خبايا الزوايا فيما فى الرجال من البقايا .

ألفه باسم شيخ الإسلام يحيى بن زكريا بن بيرام [1] ، وجعله أصلا لكتاب الريحانة ، وقد ذكر الأمين المحبى أن والده قابل الشهاب فى منصرفه إلى مصر ، وأخذ عنه ، وكتب عنه أصل الريحانة الذى سماه خبايا الزوايا فيما فى الرجال من البقايا [2] .

ذكره الشهاب فى الريحانة ، والمحبى فى الخلاصة ، وبروكلمان فى تاريخ الأدب العربى .

وتوجد مخطوطاته فى :

دار الكتب ٨٤ ، ١٣١٢ ، ٤٦٩٧ أدب

أسعد أفندى ٢/٢٦٠٨

سليم أغا ٩٤٨ ، ٩٤٩

كوبريلى ١٢٣٩

نور عثمانية ٣٧٩٢

---

(١) تقدم فى صفحة ١٠ .

(٢) خلاصة الأثر ١/٣٣٤ .

ليبسك ٨٨٤

برلين ٧٤١٤

جوته ٢١٦٤

فيينا ٤٠٦

بطرسبورج ٢٤٨

☆ ☆ ☆

٦ ـ ديوانه .

ذكره فى الريحانة ، وذكره ابن معصوم فى السلافة ، والمحبى فى الخلاصة ، وبروكلمان فى تاريخ الأدب العربى .

وتوجد نسخه المخطوطة فى :

الدانمرك (هافنا) ٤٨٣

الخزانة التيمورية ، بدار الكتب المصرية ٣٩٣ شعر تيمور .

وفى الفهرس أن الديوان بخطه ، ونقل ذلك بروكلمان ، ولم يقم لى دليل على هذا حين رجعت إلى النسخة .

وبهامش النسخة التيمورية شعر كثير له ، ولغيره ، وبعض تعليقات لغوية ، كل ذلك بخط يقارب خط الأصل إن لم يكنه .

والديوان يبدأ بخطبة يقول فى مستهلها : « بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد ما انتظم عقدثنا فى جيد الأيام ، وما تزينت حلل البلاغة بطراز الكلام . . . »

ثم يفتتحه بالمقصورة ، التى سيأتى الحديث عنها ، ثم يسرد شعره ، لا يلتزم فيه ترتيب القوافى ، ولا ترتيب الموضوعات .

٧ ـ ديوان الأدب .

ذكره أثناء الريحانة ، وذكره المحبي فى خلاصة الأثر ، وقال عنه : « وكتاب ديوان الأدب فى ذكر شعراء العرب ، ذكر فيه مشاهير الشعراء من العرب العرباء والمولدين » .

وذكره إسماعيل باشا البغدادى ، فى إيضاح المكنون ١/٤٨٨ .

وذكره بروكلمان ، فى تاريخ الأدب العربى ، وسماه : « ديوان الأدب فى محاسن بلغاء العرب » ، وذكر أنه طبع فى بيروت سنة ١٣١٦ هـ .

وتوجد منه نسخة مخطوطة فى :

فيض الله ١٥٩٦

* * *

٨ ـ ذات الأمثال .

ويقال لها أيضا ريحانة الند .

وهى منظومة فى الحكم ، ذكرها الخفاجى بأكملها فى خبايا الزوايا ، من لوحة ١٢١٠ ـ ١٢٢٥ [1] ، وذكرها بروكلمان أيضا فى تاريخ الأدب العربى .

وأولها :

الشكرُ روضٌ قد زها أنوار ... ما كلُّ نَوْرٍ يعقد الثمار

فالشكر لله على الإنعام ... يختال فى ملابسِ الدَّوامِ

وتوجد منها نسخة خطية أخرى فى :

باريس ٢٣٥٠

* * *

(١) انظر النسخة رقم ١٣١٢ أدب بدار الكتب المصرية .

٩ ـ الرحلة .

ذكرها فى الريحانة ، وذكرها ابن معصوم فى السلافة ، والمحبى فى خلاصة الأثر ، وإسماعيل باشا البغدادى فى إيضاح المكنون ١/٥٥٠ .

١٠ ـ الرسائل الأربعون .

ذكرها فى الريحانة ، وذكرها ابن معصوم فى السلافة ، والمحبى فى خلاصة الأثر ، وإسماعيل باشا البغدادى ، فى إيضاح المكنون ١/٥٧١ .

١٢ ـ رسائل ومكاتيب لم يجمعها .

ذكرها فى الريحانة ، وأثبت منها الفصول القصار ، والمقامة الرومية ، وذكرها البغدادى فى خزانة الأدب ٣/٦٠٣ وابن معصوم فى السلافة ، والمحبى فى خلاصة الأثر .

١٣ ـ رسالة فى متعلق البسملة .

ذكرها بروكلمان ، فى تاريخ الأدب العربى .

وتوجد منها نسخة خطية فى :

برين (هوتسما) الفهرس القديم ١/٢٣٦

الفهرس الجديد ٥/٤٤٤

١٤ ـ ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا .

وهو هذا الكتاب الذى نقدم له .

ذكره الإفرانىّ ، فى صفوة من انتشر ، وابن معصوم ، فى السلافة ، والمحبى ، فى الخلاصة ، وإسماعيل باشا البغدادى ، فى إيضاح المكنون ١/٦٠٥ ، وبروكلمان ، فى تاريخ الأدب العربى .

وطبع بمصر ثلاث طبعات :

الأولى : بمطبعة بولاق ، سنة ١٢٧٣ هـ ، بتصحيح إبراهيم عبد الغفار الدسوقى ، فى ٤٣٩ صفحة .

الثانية : بالمطبعة الوهبية ، سنة ١٢٩٤ هـ ، فى ٣٢٨ صفحة .

الثالثة : بالمطبعه العثمانية ، سنة ١٣٠٦ ، فى ٤٢٢ صفحة .

وتوجد نسخه الخطية فى :

دار الكتب المصرية ٤٢ م ، ٤٣ م ، ٥٠٩٠ أدب .

جار الله ٢١٨

أياصوفيا ٤٠٢١

كوبربلى ١٢٧٨

حميدية ١١٣٢

الموصل (الفهرس) صفحات ٤٢ ، ٥٣ ، ١٩١ ، ٢٣٣ ، ٢٦٨.

فهرس براون ١٣

برلين ٧٤٦٥ ، ٧٤٦٦

برلين (OCT) ١٣٨١

بريل (هوتسما) الفهرست الجديد ١٥٠

فيينا ٤٠٧ ، ٤٠٨

ليدن ٥٢٤

باريس ٢١٣٤ ـ ٢١٣٦

المتحف البريطانى (ملحق) ١١٢٣

بطرسبورج ٢٤٩ ، ٢٥٠

بانـكيبور (الفهرس) جزء ١٢، رقم ٧٩٣

رامبور (الفهرس) ١/ ٥٩٤

وللريحانه مختصر ، مجهول المؤلف ، وتوجد منه نسخة بدار الـكتب المصرية برقم ٤٠٨٤ أدب كتبت بقلم معتاد ، وبها نقص من آخرها

ريحانة النَّدّ = ذوات الأمثال

* * *

١٤ ـ السوانح .

ذكره فى الريحانة ، وذكره الإفرانىّ ، فى صفوة من انتشر ، وذكر أنه فى نحو سبعين كراسا ، وذكره ابن معصوم ، فى السلافة ، والمحبى ، فى خلاصة الأثر ، وإسماعيل باشا البغدادى ، فى إيضاح المـكنون ٢/ ٣٠ .

* * *

وتوجد منـه نسخة بالمـكتبة الأزهرية ، [٣٤٧٢] أباظة ٧٢٤٠ معارف عامة ، باسم « البوارح والسوانح » ويُظن أنها مسودة المؤلف .

١٥ ـ شرح دُرَّة الغوّاص .

ودرة الغواص لأبى محمد القاسم بن على الحريرى ، المتوفى سنة ٥١٦ هـ

ذكره فى الريحانة ، وذكره الإفرانىّ ، فى صفوة من انتشر ، والبغدادىّ ، فى خزانة الأدب ١/ ١٢ ، ٣/ ٢٠٥ ، ٤/ ١٧ ، ١٦٠ ، وابن معصوم ، فى السـلافة ، والمحبى ، فى الخلاصة ، وبروكلمان ، فى تاريخ الأدب العربى .

وقد صنع الشهاب كتابه هذا باسم السلطان مراد بن أحمد بن محمد بن مرادالعثمانى ، وأوضح فى مقدمته جهده فى التنقيب عن الدرة ، وفتحه أبواب مقفلها ، ورد على الحريرى طعنه على السلف ، وأضاف إليها دررا تصيرها عقدا .

وقد طبع الكتاب بمطبعة الجوائب سنة ١٢٩٩ هـ ، فى ٢٥٧ صفحة .

وتوجد نسخه الخطية فى :

دار الكتب المصرية	٧٩ لغة
قولة (بدار الكتب المصرية)	١٨ ق
بلدية الإسكندرية	١١ لغة
استامبول	١٢٩٩ ، ١٣٠٠
كوبريلى	١٣١٢ ، ١٣١٣
قليج على باشا	٧٩٦
الآصفية (الفهرس)	١/١٥٠ برقم ١٤١
شهيد على باشا	٢١٢٢
باتنا (الفهرس)	١/١٨٥ برقم ١٦٩٢
برلين	٦٥٠٥ مجموعة (Degong) ١٣
ليبسك	٤١٣
كمبردج (S)	١٢٤٢
الفاتيكان (الفهرس)	٥٥
جلاسجو	٥١

شرح الشفاء = نسيم الرياض .

١٦ ـ شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل .

ذكره المحبى ، فى خلاصة الأثر ، وإسماعيل باشا البغدادى ، فى إيضاح المكنون ٢/٥١ وبروكلمان ، فى تاريخ الأدب العربى .

قال فى مقدمته [1] : « أما بعد ... فهذا كتاب جليل، جمعت فيه مافى كلام العرب من الدخيل ، دعانى إليه أن المعرّب ألف فيه ، قوم منهم من لم يحم حول ناديه ... وكتاب أبى منصور [2] ... أجل ماصنف فى هذا الباب ، إلا أنه لم يميز القشر من اللباب ، فأحببت أن أهدى تحفة للإخوان ... وأضفت إليه فوائد ... وضممت إليه قسم المولّد ، وهو إلى الآن لم يدوّن فى كتاب ... وقد أوردت منه ما يسر الناظر ، ويشرح الخاطر ، مع شىء من النقد والرد ، ولطائف أدبية تذكر عهود تهامة ونجد» .

وقدم للكتاب بدراسة عن التعريب والمعرّب ، وتغيير المعرب وإبداله ، واطراد الإبدال فى الفارسية [3] .

وقال [4] : « واعلم أنى أذكر فى كتابى هذا تتميما للفائدة ماقد يذكره بعض أهل اللغة ؛ إما لتركهم التنبيه على أنه مولد ، وصاحب القاموس يفعله كثيرا ، حتى تراه يعتمد فى بعض اللغات على كتب الطب ، وهو من سقطاته الفاضحة ، وإما لأنهم لم يحققوا معناه ، وإما لكونه غريبا نادر الاستعمال .

ثم إنى رتبت كتابى هذا على حروف المعجم ، ناظرا لأوله الواقع فى الاستعمال ، من غير تدقيق فيه ؛ بالنظر لأصالته وعدمها .

وقد أترك بعض ماعربوه ؛ لعدم وروده عمن يعتد به » .

وقد طبع الكتاب ثلاث طبعات :

---

(١) صفحة ٢ ، ٣

(٢) موهوب بن أحمد الجواليقى ، من علماء الأدب واللغة ، توفى سنة ٥٤٠ هـ ، وقد حقق كتابه «المعرب» المرحوم الشيخ أحمد محمد شاكر ، وطبع فى دار الكتب سنة ١٩٤٢م .

(٣) صفحات ٣ ـ ١١ .

(٤) صفحة ١١ .

الأولى : بالمطبعة الوهبية سنة ١٢٨٢ هـ ، بتصحيح الشيخ نصر الهورينى ، ومشاركة مصطفى أفندى وهبى ، فى ٢٤٥ صفحة .

الثانية : بمطبعة السعادة ، سنة ١٣٢٥ هـ ، وعنى بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعسانى ، فى ٢١٦ صفحة .

الثالثة : بالمطبعة المنيرية ، سنة ١٩٥٢ م ، بتصحيح وتعليق ومراجعة محمد عبد المنعم خفاجى ، فى ٣٣٥ صفحة .

وتوجد منه نسخة خطية فى :

دار الكتب ٢٠ م لغة (ضمن مجموعة) .

مكتبة المسجد الأحمدى ، بطنطا ٤١٠ ع .

* * *

١٧ ـ طراز المجالس .

ذكره فى الريحانة ، وذكره ابن معصوم ، فى السلافة ، والمحبى فى خلاصة الأثر ، وقال فيه : « وهو مجموع حسن الوضع ، جم الفائدة ، رتبه على خمسين مجلسا ، ذكر فيه مباحث تفسيرية ، ونحوية ، وأصولية ، وغيرها » ، وإسماعيل باشا البغدادى ، فى إيضاح المكنون ٢/٨٢ ، وذكره بروكلمان ، فى تاريخ الأدب العربى .

قال فى أوله : أما بعد ... فهذه بنات فكر زففتها إليك ، وأمالى مجالس أمليتها عليك ، مما تقربه عين الأدب ، ويتحلى بذوقه لسان العرب ... أودعتها مالا يبلى على مرور الحقب ، وهل يصدأ مكنون الذهب ! » .

وقد طبع الكتاب بالمطبعة الوهبية، سنة ١٢٨٤ ، فى ٢٦٩صفحة . وبالمطبعة العامرة الشرفية ، بدون تاريخ ، فى ٢٧٨ صفحة .

وتوجد نسخه الخطية فى :

دار الكتب المصرية	٦٦ ، ٦٧ م أدب .
نور عثمانية	٤٠٨٢ ، ٤٠٨٣
أياصوفيا	٤١٣٤
بشير أغا	١٥٥
الموصل	١٧ ، ٤٢
برلين	٨٤٢٩
ميونخ	٦٠١
فيينا	٤٠٥

* * *

١٨ ـ عناية القاضى وكفاية الراضى .

وهو حاشية على تفسير القاضى أبى سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازى ، البيضاوى ، المتوفى سنة ٦٨٥ هـ ، والمسمى « أنوار التنزيل وأسرار التأويل » . ذكره فى الريحانة ، وذكره الإفرانى ، فى صفوة من انتشر ، وابن معصوم ، فى السلافة ، والمحبى ، فى خلاصة الأثر ، وبروكلمان ، فى تاريخ الأدب العربى .

وقد بدأ الشهاب حاشيته هذه بقوله : « يامفيض البركات ، ومنزل الآيات البينات ، افتح عيون بصائرنا لمشاهدة أنوارك ، وارزقنا من موائد كرمك ذوق حلاوة أسرارك » .

ثم تحدث عن عظمة القرآن وجلاله ، وعن جهود المفسرين ، ثم قال : « وتفسير البيضاوى له من بينها اليد البيضاء ؛ لاقتناصه روائع الأصلين ، ، وبدائع الشريعة الغراء » .

وبعد أن أفاض فى فضله ، قال : « فحدانى ذلك إلى موارده ومصادره ، وحثنى على

الغوص على فرائد جواهره ،وأن أكتب عليه حواشى تكون سياجا لثماره ، ومقدمات لنتائج أفكاره ... ولما وقفت دهم الأقلام على ساحل التمام ، سميتها ، عناية القاضى وكفاية الراضى . . . » .

والشهاب يشرح البيضاوى شرحا مستفيضا ، ويهتم بالفروق بين النسخ الأصيلة المعروفة ، ويستطرد إلى بحوث غاية فى الأهمية .

وقد طبع الكتاب فى استانبول سنة ١٨٥٤ م ، فى ثمان مجلدات ، وطبع كذلك فى بولاق ، سنة ١٢٨٣ هـ فى ثمان مجلدات أيضا .

وتوجد نسخه الخطية فى :

دار الكتب المصرية	١٥١ ـ ١٥٥ ، ٢٩٧ تفسير
قولة (بدار الكتب المصرية)	٥ ق
مكتبة المسجد الأحمدى ، بطنطا	٦١ خ ، ١٢٦٠ ع .
تونس (الزيتونة)	الفهرس ١/٨٥ ـ ٩٢
الجزائر	٣٣٨ ، ٣٣٩
دمشق (عمومية)	الفهرس القديم ، صفحة ١٠ برقم ٥٦ ـ ٦٠
يني جامع	١٠٨ ـ ١١٧
راغب باشا	١٠٣ ـ ١١٠
أياصوفيا	٣٣٩ ، ٣٤١ ـ ٣٥٣
قليج على باشا	١٣٧ ـ ١٤٢
سليم أغا	١١٧ ـ ١٢٠
السليمانية	١٤٨ ـ ١٥٢
كوبريلى	١٥٨ ـ ١٧١
حورليلى	٦٢ ـ ٦٥

نور عثمانية	٥٠١ – ٥١٣
ولى الدين	٣٣٦ – ٣٤٤
الآصفية	الفهرس ١/٥٤٠ برقم ٢٨٠
أشرف على	٤
بوهار	٧ (ملتقطات)
كلكتا (مدرسة)	٢٩٤
بانكيبور	١٣٩٩ ، ١٤٠٠
بيشاور	١١ – ١٦
المكتب الهندى (لندن)	١١٢٤ ، ١١٢٥
منشستر	٦٠
برلين	٨٦٤
باريس	٦٣١٧

* * *

١٩ – قصائد .

ذكرها بروكلمان ، فى تاريخ الأدب العربى .

وهى مجموعة من شعره ، فى دار الكتب المصرية نسخة خطية منها برقم ٧٦ مجاميع وببرلين نسخة أخرى برقم ٧٩٩٠ ضمن مجموعة (٣) .

وهى تشتمل على :

ا – مقدمة ، تقدمت فى التعريف بديوانه صفحة ١٤ .

ب – مقصورة عارض بها مقصورة ابن دريد ، وقد تقدم ذكرها أيضا فى الديوان ، وابتدأها بقوله :

أيا شقيق الروض حيَّاه الحيا فاحمر خد ورده من الحيـــا
لأنت ترب الغصن نشوان إذا أدارت المزن له خمر النـــدى
وامتلأت كأس الشقيق سحرة فاحمر من خجلته وجـه الطَّـلا

وقد وشحها بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال :

لأهدين في سلك نظمي جوهرا فيه لمن عطَّله الحظ حُـــلى
تمحو ذنوب الشِّعر منه مدحـة يغور من مشكاتها ماء السنـــا
تشرب من منهل فضل من له ذوالعرش من دون الورى قد اجتبى
فهو حبيب الله مـــذ قربه إليه ماودعـــه وما قـــلا
بدر ببـــدرٍ ظلمةَ الشرك جلا بنور وجهٍ فاضح لابن جـــلا

وآخرها :

صلى عليك الله ما حيَّاك من سحب الحمى لسان بارق خفـا
ونزل القطر لـكى يقبل الـــ أرض التى فيهـا فيحيَّاك ثوى
لا زالت السحب على أرجائه تمد سُجْفا طُرِّزت من السنـا

وقد سمَّط هذه المقصورة قاسم بن يحيى الموصلى .

وتوجد نسخ خطية من هذا التسميط فى :

الموصل (الفهرس) صفحة ١٢٨

ج ـ قصيدة همزية ، فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم .

أولها :

ماسليمى ماهند ما أسماء أنت معنًى وكلهـــا أسماء
أى معنى به العبادات ولهى حين عاد المليح والإطراء

وقف الفكر عن بلوغ مداه كيف يمشى مَن قيده الإعياء
ذكر طٰه ووصف يٰسٓ فيه قصص هام عنده الشعراء

وآخرها :

فعليهم حطت سحائب مُزْنٍ موقَرات لها الرعود رغاء
ماتردّى الصباح بردَ سناء حين ألقتْ جلبابَها الظلماء
وسرتْ دهمها تخجل بالإصـ ـباح والبدر غرة غراء

وهى قصيدة طويلة جدا .

د ـ قصيدة عارض بها معلقة زهير بن أبى سلمى ، وجعلها فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال عنها :

وعروس قد زففت إلى خير ممدوح به ثقتى
إن تميلوا كل ميلكمُ تذروها كالمعلقةِ

وبدأ معارضته بقوله :

أبدرا أضاء الأرض للعرف تمِّ وبلِّغ أخاك الشوق عنى وسلِّمِ
تشققت الأشعار نصفين غيرة لما فاتها من عقد در مقسَّمِ
كفت ذاته عن معجزات لناقدٍ وفرقان ذكر من سماء منجَّمِ

هـ ـ قصيدة أخرى قصيرة ، فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم .

أولها :

ياليتنى ثانٍ لحادٍ حداكْ أو رابعُ الكهفِ بكهفٍ حَواكْ

وآخرها :

صلى عليك الله ما أذن الـ ـقُمْرىّ فى الروض فصلّى الأراكْ

و ـ ثم يلى هذا أربع مقطوعات :

تبدأ الأولى بقوله :

غرامى على رُسْل الصِّبا لـكُمُ أملى رسائلَ هل وافت إلى حيكم أم لا

والثانية بقوله :

عهـــد الصِّبا بالسرور أورقْ ووجهه بالصفاء أشرَقْ

والثالثة بقوله :

اشربْ هنيئا ساسبيلا ونلحـــير وِرْدٍ سَلْ سبيلا

والرابعة بقوله :

رويدَك لا تعجَلْ وصبرَك أجملِ وذاك قوى خطب على الحر ينزل

٢٠ ـ قصيدة غزلية ، فى مدح شيخ الإسلام البـكرى .

ذكرها بروكلمان ، فى تاريخ الأدب العربى .

توجد منها نسخة خطية فى :

غوطة (ألمانيا الشرقية) ٧٣٧

* * *

٢١ ـ مقامة .

ذكرها بروكلمان ، فى تاريخ الأدب العربى .

توجد منها نسخة خطية فى :

برلين ٨٥٧٦

* * *

٢٢ ـ نسيم الرياض فى شرح شفاء القاضى عياض .

وهو شرح على « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » للقاضى عياض بن موسى اليَحْصُبىّ ، المتوفى سنة ٥٤٤ هـ .

ذكره فى الريحانة ، وذكره الإفرانىّ ، فى صفوة من انتشر ، وابن معصوم ، فى السلافة ، والمحبى ، فى خلاصة الأثر ، وإسماعيل باشا البغدادى ، فى إيضاح المكنون ٢/٦٤٦ ، وبروكلمان ، فى تاريخ الأدب العربى .

قال الشهاب فى أوله : « . . . هذا ، وإن كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى كتاب جليل القدر ، وهو على جلالة مصنفه أدل دليل . . . فلما كنت قديما وحديثا ، يحثنى حادى الشوق نحوه حثيثا . . . وكان يصدنى عنه ما فى الباع من القصر . . . فلما رأيت له شروحا ربما تنشرح لها الصدور ، وإن لم تخل قصورها المشيدة من قصور ، وفى بعضها أغاليط ، وتطويل ممل وتخليط ، إلا أن تقليد الناس لبّى صريح ندائها ، والبحث قد أمّن على دعائها . . . فسوّدت بعض الأمالى رجاء لأن يبيض بها صحف أعمالى . . . ثم عرض لى بغتة ماعرض ، مما أضر بجوهر القوى من العرض ، فقصدت شفاء الروح والبدن ، بإسناد الجسم الضعيف لحديث الصحيح الحسن . . . . »

ثم ذكر سنده فى هذا الكتاب إلى القاضى عياض .

وقد طبع الكتاب فى استانبول سنة ١٢٦٧ هـ فى أربع مجلدات ، ثم طبع فيها مرتين بعد ذلك ، إحداهما بتصحيح الحاج أحمد طاهر القنوى ، سنة ١٣١٢ هـ ، التزم تصحيحه من نحو أربع نسخ [1] ، وطبع فى القاهرة بالمطبعة الأزهرية ، فى أربع مجلدات أيضا سنة ١٣٢٥ هـ .

وتوجد نسخه المخطوطة فى :

---

(١) انظر معجم المطبوعات العربية والمعربة ١/٨٣٢ .

دار الكتب المصرية ٥٠٧ ـ ٥٠٩ ، ١٥١ م ، ١٥٢ م حديث
قولة (بدار الكتب المصرية) ٨ ق
الجزائر ٨٢٤ ـ ٨٢٩ ، ١٦٧٣ ـ ١٦٧٦
بتنا ١/٢٧٤ (٨/٢٢٧٧)
بطرسبرج (A.M.K.) ٩٣٤
تونس (الزيتونة) الفهرس ٢/٢٧٢ ـ ٢٧٥
داماد زاده ٤٤٦ ـ ٤٥٠
سليم أغا ١٨٧
قليج على باشا ٢١٩
السليمانية ٢٦٠
حور ليلى (استانبول) ٢٠٤ ـ ٢٠٧
حميدية ٩٣٥ ـ ٩٣٧
نور عثمانية ٣٩٣
كوبريلى ٣٠٢
فاس (القرويين) ٦٧٨ ـ ٦٨١ ، ٥٧٢٦/٦٨٣
الآصفية الفهرس ١/٦٣٦ ، برقم ١٠٨ ـ ١١١
بهار ٢٥
بانكيبور الفهرس ١٥/٩٩٧ ـ ١٠٠٥

٦

ولقد رفع هذا الجهد العلمى ، الذى برز فى مؤلفات الشهاب الخفاجىّ ، وفى دروسه لطلابه ،من شأنه ، وما كان خاملا، وأطلق ألسنة معاصريه ـ والمعاصرة حجاب ـ بالثناء عليه ، والإطراء لعلمه ولكتبه ، وكذلك فعل من جاء بعدهم .

وقد تقدم فى صفحة ٨ ، ٩ ثناء عبد القادر البغدادىّ تلميذه عليه .

وذكره ابن معصوم ، فى سلافة العصر [١] ، وقال : « أحد الشهب السيارة ،المقتحم من بحر الفضل لجه وتياره ، فرع تهدل من ذؤابة خفاجة ، وفرد سلك سبل البيان ومهد فجاجه .

أجرى من ينبوع الفضل ما أخجل بمصر نيلها وبالشام سيحانه، وأهدى لمشام أرباب الأدب من رياض أدبه أطيب ريحانة » .

وذكره المحبّ ، فى خلاصة الأثر [٢] ، وقال : « صاحب التصانيف السائرة ، وأحد أفراد الدنيا المجمع على تفوقه وبراعته .

وكان فى عصره بدر سماء العلم ، ونير أفق النظم والنثر ، رأس المؤلفين ، ورئيس المصنفين .

سار ذكره مسير المثل ، وطلعت أخباره طلوع الشهب فى الفلك .

وكل من رأيناه أو سمعنا به ممن أدرك وقته ، معترفون له بالتفرد فى التقرير والتحرير ، وحسن الإنشاء ، وليس فيهم من يلحق شأوه ولا يدعى ذلك ، مع أن فى الخلق من يدعى ماليس فيه » .

---

(١) سلافة العصر ٤٢٠ .
(٢) خلاصة الأثر ١/٣٣١ ، ٣٣٢ .

ثم قال عن مؤلفاته : « وتآليفه كثيرة ممتعة مقبولة ، وانتشرت فى البلاد ، ورزق فيها سعادة عظيمة ، فإن الناس اشتغلوا بهـا ، وأشعاره ومنشآته مسلمة لا مجال للخدش فيها .

والحاصل أنه فاق كل من تقدمه فى كل فضيلة ، وأتعب من يجىء بعده ، مع ما خوّله الله تعالى من السعة ، وكثرة الكتب ، ولطف الطبع ، والنكتة ، والنادرة » .

وقال عنه الإفْرانى ، فى صفوة من انتشر[1] : « كان رحمه الله إماما فى العلوم من غير منازع ، حنفى المذهب ، له الشهرة التامة فى معمور الأرض » .

ولكن ابن معصوم ينتقد على الشهاب إعجابه بنفسه ، ويقول[2] : « إلا أنه كان كثير الإعجاب بنفسه ، ساحبا ذيل الفخار والكبرياء على أبناء جنسه ، وما لابن آدم والفخار! وهو مخلوق من صلصال كالفخار » .

والحق مع ابن معصوم ، فكثيرا ما يذكر الشهاب شعرا لغيره ، ثم يقول[3] : « وأحسن منه قولى » ، أو يقول : « فإذا ما تدبرت هذا وجدت أنه لا يصل فى الحسن إلى درجة من درجات قولى : ... » .

فإذا ما جمعت بين النصين فى قَرَن ، وجدت شعر الخفاجى متخلفا ، قليل الرواء .

ويرى ابن معصوم أيضا ، أن شعر الشهاب الخفاجى[4] : « يجمع بين الغث والسمين ، ويشتمل على الرخيص والثمين » .

---

(١) صفوة من انتشر ١٢٨ .
(٢) سلافة العصر ٤٢٠ ، ٤٢١ .
(٣) انظر فهرس الأعلام : أحمد بن محمد بن عمر الخفاجى (شهاب الدين) .
(٤) سلافة العصر ٤٢١ .

والكتاب الذى نقدمه اليوم، « ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا » ، إحدى مفاخر الشهاب الخفاجىّ ، أعاد به إلى الأذهان ذكر « يتيمة الدهر » ، و « دمية القصر » ، و « وشاح الدمية » ، و « الذخيرة » ، و « خريدة القصر » ، و « قلائد العقيان » ، و « عقود الجمان » ، تلك السلسلة الدُّرِّيّة ، التى أخذت على عاتقها تسجيل الأدب العربى على مدى الأعصر ، ينجُم فى كل عصر من أهله من يحفظ تراثه ، ويلم شعث متفرقاته ، ويهدى ذلك كله إلى الأجيال من بعده ، حتى يأتى من يصل حلقة الماضى بالحاضر ، فيفعل فعله ، وهكذا يخلد تراث الأمة ، وترقى آدابها .

وآخر أثر وصل إلينا فى هذا الفن قبل كتاب الشهاب الخفاجىّ ، هو « عقود الجمان فى شعراء هذا الزمان » ، لأبى البركات مبارك بن أبى بكر بن الشَّعَّار الموصلىّ ، المتوفى سنة أربع وخمسين وستمائة .

ولا نعلم أحدا بعده أخذ على عاتقه تسجيل أدب عصره على هذه الطريقة ، حتى جاء الشهاب فى القرن الحادى عشر ، ليكتب أولا كتابه[1] « خبايا الزوايا فيما فى الرجال من البقايا » ، ثم يهذبه ويرتبه ، ويخرجه فى ثوبه الجديد ، باسم « ريحانة الألبا » .

وهو يقول فى مقدمته للريحانة[2] : « فهذه ذخائر من خبايا الزوايا ، فيما فى الرجال من البقايا ، تنفّس الدهر بها عن نفحة عنبريّة ، وهبت بها أنفاسه الندية نَدِّيَّة » .

وقد قسم كتابه إلى أربعة أقسام :

القسم الأول : فى محاسن أهل الشام ونواحيها .

---

(١) انظر ما تقدم فى صفحة ١٣ .

(٢) صفحة ١١ ، ١٢ .

القسم الثانى : فى محاسن العصريين من أهل المغرب ، وما ولاها .

القسم الثالث : فى مصر وأحوالها ، وسبب العود لرسومها وأطلالها .

القسم الرابع : فى ذكر الروم ، وما اتفق لى فيها ، وذكر من لقيته بها من رؤسائها وعلمائها ، وبقية دهمائها .

ثم عقد بابا لبيان أحوال الروم ، وانقراض علمائها ، ونشر الظلم والعدوان بين أمرائها .

وعقد بابا ترجم فيه لنفسه ، وذكر شيوخه ، وآثاره ، ورحلته ، وأضاف إلى ذلك ذكر الفصول القصار له ، ثم المقامة الرومية ، وأضاف إلى ذلك :

مقامة الغربة .

المقامة الساسانية .

مقامة عارض بها مقامة رشيد الدين محمد بن محمد العمرى ، المعروف بالوَطْوَاط ، المتوفى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة .

المقامة المغربية .

ثم خاتمة للكتاب تشتمل على فوائد علمية وأدبية ، منها :

اختلاف وجوه القراءات .

طبقات البلغاء .

طبقات الشعراء .

ولقد أفاض الشهاب فى كثير من المسائل العلمية ، وخاصة علوم البلاغة[1] ، وأبان عن دراية وبصر بهذا الفن .

---

(١) انظر فهرس المسائل .

وجاء بعد الشهابِ محمدُ الأمين بن فضل الله بن محب الله بن محمد المحبيّ ، المتوفى سنة إحدى عشرة ومائة بعد الألف ، فاستشرف للغاية التى سبقه إليها ، وألف كتابه « نفحه الريحانة ورشحة طلا الحانة » ذيّل به على الريحانة ، واستدرك ما فات الشهاب ، أو لم يدركه .

يقول فى مقدمة كتابه[1] : « وكان كتاب الريحانة ، للشهاب ، الذى أغنى عن الشمس والقمر . . . لم يزل منذ عهد صباى ، قبل نوم سيارة شمولى وصَباى ، أمنية رجائى الحائم ، وبغية قلبى الهائم . . . فخطر لى أن أقدح فى تذييله زندى ، وآتى فى محاكاته بما اجتمع من تلك الأشعار عندى . . . فأقدمت سائلا من الله أن يجعله سهلا ، وأنا أستغفره لتطلعى لما لست له أهلا » .

وقد رتب المحبى كتابه على ثمانية أبواب :

الباب الأول : فى محاسن شعراء دمشق ، ونواحيها .

الباب الثانى : فى نوادر أدباء حلب .

الباب الثالث : فى نوابغ بلغاء الروم .

الباب الرابع : فى ظرائف ظرفاء العراق والبحرين .

الباب الخامس : فى لطائف لطفاء اليمن .

الباب السادس : فى عجائب نبغاء الحجاز .

الباب السابع : فى غرائب نبهاء مصر .

الباب الثامن : فى تحائف أذكياء المغرب .

---

(٢) نفحة الريحانة ، لوحة ٢ ب ، ١٣ .

(١) انظر العدد ٢٨ ، سبتمبر سنة ١٩٦٦ ، صفحة ٨٨ ، ٨٩ .

وجاء بعده تلميذه محمود بن محمود ، فجمع من أوراق أستاذه المحبي ما ذيل به على « نفحة الريحانة » ، وسماه « ذيل النفحة ونيل المنحة » .

***

ومنذ شغلت نفسي بتحقيق « ريحانة الألبا » ، شغلتها أيضا بـ « نفحة الريحانة ، وذيلها » فاستنسختها ، وحققت الجزء الأول منها .

وقد أشار الأستاذ حسن كامل الصيرفي ، مدير تحرير مجلة الكتاب العربي[٢] إلى عملي هذا ، وتلقى سيادته رسالة من وزير الثقافة والإرشاد القومي ، بالجمهورية العربية السورية ، يسأل عن ما أنجزته في هذا العمل ، لأن الوزارة كلفت من يقوم به ، وحين علم السيد الوزير مدى ما قمت به من جهد ، وما بذلته في تحقيق الكتاب ، أمر بإيقاف العمل فيه ، ودعا لي بالتوفيق في تحقيقه وإخراجه .

وإني إذ أشكر هذا الصنيع للأستاذ محمد الزعبي ، وزير الثقافة والإرشاد القومي ، بسورية ، لأرجو لوزارته مزيدا من النجاح في نشر التراث العربي ، والعمل على إحيائه .

هذا ، وتقوم دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه) ، التي نشرت « ريحانة الألبا » بنشر « نفحة الريحانة ، وذيلها » ، وسيخرج الكتاب ، ـ إن شاء الله ـ في أربعة أجزاء .

***

---

(١) انظر نزهة الجليس ١/٢٠٩ ـ ٢١٣ .

(٢) سلافة العصر ٦ ـ ٨ .

وجاء بعد الشهاب الخفاجى أيضا على بن أحمد ، المعروف بابن معصوم الحسنى الحسينى ، المتوفى سنة تسعة عشر ومائة بعد الألف[1] ، فأخرج إلى الناس كتابه « سلافة العصر » بعد أن اطلع على « ريحانة الألبا » ، واستدرك به على الشهاب الخفاجى ، وترجم لأناس ترجمهم الشهاب أيضا ، إلا أنه فعل فِعْلَ المحبّ ، فلم يذكر من أشعارهم شيئا مما سبق به الخفاجى .

يقول ابن معصوم[2] : « هذا ، وإنى منذ ارتأَيت بعين البصيرة فى عالم الوجود ... لم أزل ثاقب العزيمة كالشهاب الثاقب ، فى اكتساب المناقب ... أقتنى من نفائس الأدب كل تليد وطارف ... لا سيما ما المعاصرين ومن تقدم عصرهم قليلا ، من أزاهير النظم والنثر التى هبّ عليها نسيم القبول بليلا ... إلى أن أهدى إلىّ من مكة المشرفة ، لا زالت بأَقراط السرور مشنفة ، كتاب « ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا » ، تأليف العلامة ... شهاب الدين أحمد الخفاجى ... فرأيته قد قصد الغرض الذى كنت قصدته ... من جمع محاسن أهل العصر وأخبارهم ... وتكفل بالمقصود وما تكلف ... بيد أنه اقتطف ريحانة من روض ، وامتاح نقطة من حوض ... وأهمل ذكر جماعة من أكابر الفضلاء ، وأماثل النبلاء ، ومجيدى الشعراء ، ومفيدى البلغاء ... فجدد لى حديث هذا الاستدراك ذلك العزم القديم ... فوجهت الهمة شطر ذلك القصد ... » .

وقد رتب ابن معصوم كتابه على خمسة أقسام :

القسم الأول . فى محاسن أهل الحرمين الشريفين .

القسم الثانى : فى محاسن أهل الشام ، ومصر ، ونواحيهما .

القسم الثالث : فى محاسن أهل اليمن .

القسم الرابع : فى محاسن أهل العجم ، والبحرين ، والعراق .

القسم الخامس : فى محاسن أهل المغرب .

وقد أدى الثلاثة : الخفاجى ، والمحبى ، وابن معصوم عملا عظيما متكاملا ، فقد أفاض كل واحد منهم فى ذكر شعراء الصقع الذى تواردت إليه أخباره ، ونمت إليه آثاره ، ولهذا فقد احتل قسم الشام ، ومن بعده قسم مصر ، قسطا كبيرا من « الريحانة » بينما استأثر قسم الحجاز والحرمين بقدر كبير من « السلافة » ، يليه قسم الشام ، ونرى المحبى آثر الشام بما يربو على ثلث كتابه .

وأدعوا الله أن يشد أزرى ، وأن يسدد خطاى ، فى سبيل نشر هذا التراث الحافل لشعراء القرن الحادى عشر .

٨

وقد اعتمدت فى تحقيق هذا الكتاب على :

١ ـ نسخة كتبت بقلم معتاد، تمت كتابتها نهار الخميس ، الثانى والعشرين من شهر شوال ، سنة ١٠٧٨ هـ ، فى ٢٣٥ ورقة ، مقاسها ٥ر٢٠ × ٥ر٢٨ سم ، ومسطرتها ٢٧ سطرا ، وعليها تملك باسم ولى النعم الحاج إبراهيم سر عسكر ، وتملك آخر باسم محمد شاهين بن فتح الله الحموى الحنفى سنة ١١٠٤ هـ ، ومطالعة باسم رمضان بن موسى العطيفى .

وهى محفوظة بدار الكتب المصرية ، برقم ٤٣ أدب (م) .

وقد رمزت إليها بالحرف « ا » .

٢ ـ نسخة أخرى كتبت بقلم معتاد ، كتبها محيي الدين السلطى ، الدمشقى مولدا وموطنا ، فى الثالث من شهر رمضان المعظم ، من شهور سنة ١٠٨٠ هـ ، فى ١٨٨ ورقة ، مقاسها ٥ر٢٥ × ٣٠ سم ، ومسطرتها ٢٥ سطرا ، وعليها تملك باسم محمد تقى الدين خلال سنة ١٢٢٨ هـ ، ومطالعة باسم محمد صالح بن الحاج أحمد جلبى صابونى .

وتنتهى هذه النسخة أثناء الفصول القصار ، قبل نهاية الكتاب ، بعد أبيات للشهاب الخفاجى ، آخرها :

أرضى تلاقى ذكرنا مع ذكرهم فى روض طرس بالمعانى أثمرا

وهى محفوظة بدار الكتب المصرية ، برقم ٥٠٩٠ أدب .

وقد رمزت إليها بالحرف « ب » .

٣ ـ نسخة أخرى كتبت بقلم معتاد ، كتبها خليل ، الشهير بابن قرا مصطفى ، فى أوائل شهر محرم الحرام ، سنة اثنتين وستين ومائة وألف ، فى ٢٣٧ ورقة ، مقاسها ٢١ × ٣٢ سم ، ومسطرتها ٢٥ سطرا ، وعليها تملك باسم عبيد بن الحاج محمد ، سنة ١١٧٨ هـ .

وهى محفوظة بدار الكتب المصرية ، برقم ٤٢ أدب (م) .

وقد رمزت إليها بالحرف « ج » .

٤ ـ ثلاث طبعات للريحانة ، تقدم الحديث عنها فى صفحة ١٦ ، ١٧ .

وقد رمزت إليها بالحرف : « م » ، وذكرت اسم المطبعة حين يرد اختلاف بينها .

وقد حرصت على أن أضيف إلى جهد الخفاجى جهداً آخر ، حيث عرى كتابه عن أيّة معلومات تاريخية عن المترجمين ، فرجعت إلى المصادر الأدبية والتاريخية المطبوعة والمخطوطة لهذه الفترة ، وترجمت لمن أوردهم الخفاجى ، وربطت بين تراثهم ، ومواضعه من المصادر المتاحه ، كما لفتُّ النظر إلى الوشائج والصلات التى ربطت بين الخفاجى ، والمحبى ، وابن معصوم ، فى الريحانة والنفحة والسلافة ، ثم واصلت الطريق فى الوفاء بالعهد الذى قطعته على نفسى حين أتناول أثراً من الآثار الفكرية لأمتنا ، من بذل الجهد وصبر النفس على مشقة العمل ، ولأواء الطريق .

ومن الله أستلهم التوفيق والنجح ، وأستمنح الخير والمثوبة ، وهو من وراء القصد .

القاهرة فى { غرة رمضان المكرم سنة ١٣٨٦ هـ
١٣ من ديسمبر سنة ١٩٦٦ م

عبد الفتاح محمد الحلو